صاحبة السمو الأميرة الطوسى

الأمـــيرة فوزية

للآنسة زينب الحكيم

يا سليلة المجد ، يا كريمة المحتد ... تزوجت من ابن عاهل بلاد عريقة الحضارة ، باسقة الدوحة ، فشغل هـذا الحادث السعيد انتباه الناس ، وانصرف كل يحييه بشكل خاص

كنت أمشي مرتاضـة على جسر الزمالك ثم إلى جسر إسماعيل ؛ وكان ذلك في الصباح المبكر النادى ، حيث ينتعش النيت ويبتهج الزهر ويصدح الطير

ترتفع الشمس من مشرقها فتواجه ستوها أهرام مصر ، فينعكس إشراقها على مرآة الدهور ؛ وليست عنه تغرب ، وإنما هى تحييه كل يوم ، وتحيى فى هيكله المرسوس نور العلم ، وقوة العقل ، ونهضة البشرية ؛ ثم تخط فى سجله دورتها التى لا تنقطع

وقد تزول الدنيات ، وتدول العروش ، ويفنى الخلق ؛ وتبقى الأهرام وتبقى الشمس ... هذه تسجل وهذه تدور ... والخلود للنافع الباقى فى سجل الأبدية

فيا أميرة الأهرام فوزى بأمير الشمس رضا ... لقد تنبأت بسعود مستقبلكما وهناء أيامكما وأنا أسير على الجسـور . وقد استرعى انتباهى الأعلام المتناثرة المرفوعة على أعالى القصور وفى البساتين والميادين، كلها ترفرف فى الجو معلنة صفاء نفسين واتحاد قلبين ، مذيعة على موجات الأثير أفراح أمتين شقيقتين ، ورجاء شعبين صديقين

فى اللحظة الخاطفة الوامضة ، التى أيقنت فيها بذيوع النبأ السعيد فى العالم أجمع ، وأكده تشريف ابن الأكاسرة ديار الفراعين ؛ استوقفنى بين الجسرين صوت التابع (الخادم) حيث لاحقنى من البيت ، قال : سيدتى ، لقد نسيت هذا الكتاب ، فأخذته منه وشكرته وانصرف

وتابعت سيرى ووجهى جسر إسماعيل ، فلما بلغت وسطه ، شعرت أن الكتاب أثقل ذراعى ، فوقفت أستريح برهة ، وقد شغل تفكيرى قيمة ما يحتويه الكتاب بالنسبة إلى حجمه ووزنه

وحانت منى نظرة إلى ماء النيل ، وهو يخاصر رقائق النسيم ؛ ومن عجب أرى ضوء الشمس الفضى ينعكس على جهات خاصة من سطح الماء ، فيكوّن من الموج الهادىء نجوماً متلألئة ، أما باقى سطح الماء فمادى إذا استثنينا اختلاف ألوان تموجاته فى مواضع .

هذه اللوحة الفنية بإطارها المنقوش ، أوضحت أمامى صفحة من صفحات شهيرات النساء منذ أبعد الحقب ، ومن ثم اطمأننت أنه يعتمد عليهن فى فتح الكتب المغلقة وفهم غوامضها وتكييف

الأقدار . وهذه الناحية من سطح الماء ، التي تتلألأ عليها النجوم الساطعة ، إنما تدل على شهيرات النساء اللائى جذبن انتباه العالم لخطورة مراكزهن كالملكة حتاسو ، وفكتوريا ، والسيدة خديجة ، ومثيلاتهن ممن حكمن الممالك ، وشرعن ، وشيدن أسس العمران وسُسن مصالح البشر ؛ أو مدام كورى ومن على شاكلتها من العالمات ، والمخترعات ؛ أو كالسائحات والكاتبات اللائى يدرسن البشرية عملياً ويسجلن تاريخ البشر التجريبي ؛ أو كرسولات السلام والمودة من أشباه أميرتنا المحبوبة فوزية .

وفى الحق أنه ينطوى فى شخصية مثيلاتها أخطر تضحية ، وأقوى شجاعة ، وأحد نظرة وأجدها .

ياله من مركز خطير ! يضطلع به الرجل فيثقله ، فما بالنا إذا ما اضطلعت به امرأة ؟! من غير شك تكون المسئولية أعظم ، والتضحية أوفر ، والإرادة أمتن

يا أيتها المرأة إنك ضحية الوجود ، وزهرة الوجود ، فياله من شوك وشذى فى وقت واحد !

أذكر عندما حمل البشير إلى فكتوريا نبأ تنصيبها ملكة على عرش بريطانيا العظيم، تلقت الخبر السار بذهول لهول المسئولية، وكانت سنها لا تزيد على الثامنة عشرة ، ولكن ذاك الذهول ، وذاك الهول ، لم يثنياها عن المبدأ الذى ألهمته ، وكان سبب نجاحها إذ أجابت بعد صمت لحظات Ishall be good سأكون صالحة . قول قصير ولكنه منطق حكيم ومبدأ متين

وهكذا عاشت الملكة فكتوريا عمراً مديداً ، وحكمت خمسين عاماً من أحسن وأنفع السنين التى مرّت على بريطانيا . ولا يزال حب فكتوريا مستقراً فى القلوب . تعرفت إلى سيدة انجليزية عجوز فى إحدى ضواحى لندن ، فلما توثقت عرى الصداقة بيننا ، أرادت أن تقدم إلىّ هدية من أثمن ما تملك ، فسارت معى إلى خزانة أنيقة من البلور ، وأخذت منها علبة فضية ثمينة ، أخرجت منها شيئين صغيرين ، ولكن بدا على السيدة الاهتمام والرعاية لهما

بدأت تفض الأغلفة التى أحاطت بالدرة الثمينة على ما ظننت ، وأيقنت أننى سأنال شظية من تلك اللؤلؤة النفيسة ، وما كان أشد دهشتى عندما وجدت أن الجوهرة المغلفة لم تكن أكثر من قطعة صغيرة من كعكة عرس الملكة فكتوريا ! !

ثم عادت السيدة فأخرجت من المغلف الثانى نموذجاً لثوب العرس الذى ارتدته الملكة فكتوريا ليلة زفافها ، وقد صنع من القصاصات التى تخلفت من قماش ذلك الثوب . أما نموذج الثوب ، فكان تحفة ثمينة ، وأثراً بارزاً يشير إلى بعض عواطف الإنجليز ، وهم ناس تقاليد وناس وفاء وشمائل نبيلة كم أرجو أن ينال أفراد الشعبين : المصرى والإيرانى منحة تحفظ فى ذاكرة الأجيال ! ! لا يخالجنى شك فى أن عبقرية الزوجين الكريمين ستكوّن طاقة من الزهر تشم فى نسمات الخلود

* * *

يا أميرة النيل : إنى أتخيلك وأنت آمنة الآن إلى خلجات قلبك ، مفكرة فى رياض المستقبل بما تحويه من أزهار وأثمار وأطيار ، لا تلبث أن تصبح بلابل القصر المرمرى العامر ؛ ثم أتخيلك وأنت تجولين فى بساتين إيران الزاهية وحقولها المخصبة، وأتخيل مواقفك التى ستفوق ديمقراطية إحدى ملكات أوربا

ذلك أنها كانت تكثر من تفقد حال رعيتها خفية، ففى ذات مرة كانت تتجول فى الحقول منفردة ، فرأت فتاة حسناء تعمل بنشاط فى حقلها بحيث لم تنتبه إلى المتجولة العظيمة ، فقربت منها الملكة وحيتها وتحدثت معها طويلاً مستفسرة عن محاصيلها وعن معيشتها، وكانت الفتاة تحادثها دون تعمل على طريقتها القروية الساذجة

ولما همت الملكة بالانصراف سألتها الفتاة عن اسمها وماهيتها ، فأجابتها ببساطة مستملحة : أنها الملكة فلانة . فطربت الفتاة كما تطرب فتاة الريف الوادعة وسألتها عن عنوانها ، فأجابتها الملكة إلى ما أرادت . فلما كان عيد الميلاد بكّرت الفتاة بإرسال زوج من القفازات الصوفية من صنع يدها هدية للملكة بمناسبة العيد، وتقبلتها الملكة راضية وأرسلت خطاب شكر إلى تلك الفتاة ومعه قفاز مملوء بالذهب ، وآخر مملوء بالحلوى

وبعد أيام أرسلت الملكة خطاباً آخر للفتاة تستفسر منها فيه عن وصول الهدية ، ومقدار ما نالها منها شخصياً ، فأجابت الفتاة فى حياء جميل : لقد استأثر أبى بالذهب ، وتمتعت أختى الصغيرة بالحلوى ، بينما أجاهد أنا فى الحصاد . فعادت الملكة وأرسلت قفازين أحدهما مملوء بالذهب والآخر بالحلوى ، وشفعتهما بخطاب منها شخصياً تقول فيه لوالد الفتاة : « اترك الهدية كاملة للفتاة هذه المرة » فما أجمل عطف المرأة وما أدق مواقفها !

هنيئاً لك يا إيران بابنة فؤاد الصلح ، الذى شمل عطفه وبره ورقيه مصر وغير مصر من بلاد المشرق والمغرب ، وعم نور عهده الذهبي فتبدد عن العقول ظلام الجهل ، وعن النفوس كابوس الملل

إن التاريخ يعيد نفسه . ومن حسن التوفيق أن يكون إشراق النجوم ، وبشير السلام والمودة متصل الحلقات بمحور شريف . فقد سبق أن حدثت مناسبة سعيدة مشابهة لحادث اليوم ، زواج الأميرة نازلى هانم أخت الخديو اسماعيل ، وعمة المغفور له الملك فؤاد بأحد الأعيان التونسيين ، وكانت تسكن قصراً بديعاً بالقرب من قرطاجنة على شاطئ البحر وسط بساتين غناء .

تحدثت عنها الكاتبة الفرنسية مريام هارى قالت : أدى بى الحديث مع الأميرة نازلى يوماً إلى الكلام عن المرأة المسلمة ، فقالت لى: هل تقصدين المرأة المصرية؟ إنه لا توجد امرأة فى العالم عرفت ما عرفته من الاستقلال فى عهد الفراعنة ! فأمريكا ذاتها لم تبتدع جديداً يمكن أن يقارن بالحركة النسوية التى كانت على ضفاف النيل منذ أربعة آلاف سنة .

لقد كانت تتمتع المرأة المصرية بوحدة الزوجية ، بل كانت تنعم بما ينعم به الرجل من الحرية والمراتب ، عكس ما كانت تعامل به نساء البلاد الأخرى فى ذلك العهد كالإسرائيليات والبابليات وغيرهن .

والزوجة الحقيقية كانت تشارك زوجها فى التاج والعرش ، وكانت تمتاز عن أختها المصرية بالاشتراك مع زوجها فى الأعمال الفكرية ، وقد وجدت مؤلفات باسم الزوج والزوجة ، وفى الألعاب الرياضية أيضاً ، فكانت تخرج معه للصيد والقنص ، وكانت ترأس الحفلات »

ثم أفضى الحديث بين الأميرة والكاتبة إلى التحدث عن كليوباترا الملكة العظيمة ، فقالت الأميرة نازلى : حقاً إنها كانت ملكة قادرة من أسرة البطالسة ، ومع ذلك كان أفول نجم المرأة المصرية بعدها . فقد فرض عليها القانون الرومانى الذى أخذ عنه الفرنسيون قانونهم، أن تأخذ ترخيصاً من الزوج فى أعمالها ، وهذا أمر لا يعرفه الإسلام، إذ ليس الإسلام خلافاً لما يظنون هو الذى جعلنا فى مرتبة أقل من الرجال وحرمنا حقوقنا، وإنما هو التفسير غير الصحيح للنص المقدس ، وإهمالنا وقعودنا نحن النساء » .

ولقد أبيح للمرأة المسلمة على الدوام أن تنص فى عقد الزواج على أن تكون منفردة بالزوجية ، ولو أن الزوج أخل بهذا النص لعوقب بالحبس

قالت الأميرة نازلى هذا القول من نحو ربع قرن مضى ، فليتها ترى بنفسها اليوم مقدار ما بلغته المرأة المصرية الحديثة من التعاون مع الرجل فى أكثر مرافق الحياة ، لتعجب بنهضة المرأة الفكرية والرياضية والاجتماعية ، ولتسر كل السرور بمجهوداتها أميرات البيت المالك ، إذا ما رأتهن يزرن المدارس ويشجعن التعليم ، ويفتتحن المعارض العلمية والفنية من زراعية وصناعية . كم كان ينشرح صدرها لرؤيتهن أثناء لعبهن التنس ولهوهن بالثلج فى سويسرا ! لو كان ذلك لأدهشها أن ترى الملك المحبوب فاروق الأول مع زوجه جلالة الملكة فريدة وهما يجولان فى الصحراء للصيد والرياضة ، ولأثلج صدرها ما ألفته بعض الأميرات من نفائس الكتب كالأميرة قدرية حسين

وسمو الأميرة فوزية زهرة تتضوع شذى ذكيًا بما تحمله فى دمها من عبقريات والديها الكريمين ، وتنقل عن أخيها جلالة الملك « فاروق الأول » المحبوب روح الشباب الطامح ، وحكمة الشيوخ الأتقياء ، وحزم المجربين الأشداء . وتتأثر بوراثات فوارة عن الأجيال الطويلة التى قطعتها مصر فى الرقى العلمى والحضارة

فيا أيتها الوديعة العزيزة أنت خير من يفهم رسالة مصر ، وخير من يمثل بلاده الخالدة ، فتزدادين منعة وعظمة من رائع خيال إيران ، ورفيع فنها ، وواسع علومها وفلسفاتها . وإن من كانت مثلك فى قوة الذكاء وروعة الحسن مع شخصية قوية وجرأة حازمة وسياسة رشيقة ونبل ـ وما استمتعت به من رعاية وجوار كريم من جلالة أخيك الملك الصالح ـ كل هذا ، وليس بالقليل ، تستطيعين به أن تتصفحى الكتاب الزاخر وتكفلى بهجة الحاضر ونجاح المستقبل ومودة الدهر

زينب الحكيم

مرآة آلام مصر ومفاتن جمالها الخالد تنعكس فى أول صفحة مصرية صميمة فى سطور من دموع الصبا الذاوى فى ديوان :

مقابر الفجـــر

للشاعر الفنان محمد رشاد رامى

يتضمن الكتاب سهرات الشاعر فى ليالى صفوه ومقطوعاته الباكية فى أوبئات شجاه وهو يمثل فى ذاته نهاية حياة فى ريعانها.

يطلب الكتاب من المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد على ومن المكاتب الشهيرة فى القطر ويطلب بالجملة من دار النشر التجارية بشارع ابراهيم باشا رقم ١٤ ثمن النسخة ٥ قروش (للجملة سعر خاص)